السنة الرابعة والتسعون بعد المئتين

في المحرَّم خرج زَكْرويه القِرمطيُّ من بلاد القَطيف يريد قافلة الحاجِّ، فجاء إلى واقِصَة، ثمَّ أقام قريباً من الماء المسمَّى بسَلْمان، ووافت القافلة الأولى واقِصَة، فأنذرهم أهلُها، فارتحلوا فنجَوْا، وجاء القرمطيُّ إلى واقِصة، فسألهم عن القافلة، فأخبروه بأنَّهم لم يُقيموا، فقَتَل منهم جماعة، وتحصَّن الباقون بحصنهم.

ثمَّ اعترض [زكرويه] قافلة خراسان لإحدى عشرة ليلةً خلت من المحرَّم بالعقبة التي يقال لها: عَقبة الشيطان، فحاربوه حرباً شديداً وترجَّلوا، فقال لهم: أمعكم من عسكر السلطان أحد؟ قالوا: لا، قال: فامضوا لشأنكم فلست أريدكم، فساروا، فأوقع بهم، وجعل أصحابُه يَنخَسون الجِمَال بالرِّماح، ويبعجونها بالسيوف، فنَفَرت، وأكبَّ أصحاب القرمطيِّ على الحاجِّ يقتلونهم كيفما شاؤوا، فقتلوا من الرِّجال وسبَوا النِّساء، واحتَوَوْا على ما في القافلة، وأفلت من الجَرحى [قوم] فوقعوا بين القتلى، فتحاملوا في الليل ومضَوْا، فمنهم مَن مات في الطَّريق، ومنهم مَن نجا، وكان نساء القرامطة يطُفْن في القتلى يعرضْنَ عليهم الماء، فمن كلَّمَهنَّ أجهزوا عليه، فيقال: إنَّهم قتلوا من الحاجِّ عشرين ألفاً، وأخذوا ما قيمتُه ألفي [ألف] دينار.

وورد الخبر إلى بغداد يومَ الجمعة منتصف المحرَّم، فشقَّ ذلك على المكتفي والمسلمين، ووقع النَّوْح والبُكاء في البلد، [وعظُمت الرَّزيَّة]، فندب الوزير العباس [بن الحسن] محمدَ بنَ داود بن الجَرَّاح الكاتب لإنفاذ الجيوش، فخرج من بغداد لإحدى عشرة ليلةً بقيت من المحرَّم، وحَمَل معه أموالاً عظيمة.

وسار زَكرويه إلى زُبالة فنزلها، وبثَّ الطلائعَ أمامَه ووراءَه؛ [خوفاً من أصحاب المكتفي، وكانوا مُقيمين بالقادسية] خوفاً منه على قافلة الحاجِّ، فجرى عليهم ما جرى، ولم يعلموا إلَّا بعدما فات الأمر، وكانت قد تأخَّرت القافلة الثالثة وهي العُظمى، فسار إلى ما بين الشُّقوق والبِطان في طرف الرَّمْل ينتظرها في مكان يُعرف بالطُّلَيح.

وكان في القافلة أعيانُ أصحاب السلطان، ومعهم الخزائنُ والجواهرُ والأموالُ وشَمْسةُ الخليفة، فوصلوا إلى فَيْد، وبلغهم خبرُه فأقاموا ينتظرون عسكر السلطان، فلم يَرِد إليهم أحد، فساروا فوافاهم بالهَبِيْر، وقاتلهم يوماً إلى الليل، ثمَّ عاودهم القتالَ في اليوم الثاني، فعطشوا واستسلموا، فوضع فيهم السيفَ، فلم يُفْلِت منهم إلَّا اليسيرُ، وأخذ النساء والأموال أعظم من القافلة الأولى.

وبلغ المكتفي فندب لقتاله وصيف بن صُوارتكين ومعه الجيوشُ والقُوَّاد، وكتب إلى بني شيبان أن يوافوه، فجاؤوا في ألفين ومئتي فارس، وسلكوا على طريق خَفَّان، فلقيه وصيف يوم السبت لأربعٍ بقين من ربيع الأوَّل[1]، فاقتتلوا، ثمَّ حجز بينهم الليلُ، وأصبحوا على القتال، فنصر الله وَصيفاً وبني شيبان، فقتلوا عامَّةَ أصحاب القرمطيِّ الرجالَ والنِّساء، وخلَّصوا المسلمات والأموال، وخَلَص بعضُ الجند إلى زَكْرويه فضربه وهو مولٍّ على قفاه ضربةً خَلَصت إلى دماغه، وأخذه أسيراً، وخليفتَه، وخواصَّه، وأقرباءَه، وابنَه، وكاتِبَه، وامرأتَه، واحتوى الجندُ على ما في عسكره، وعاش زكرويه خمسة أيام ثمَّ مات، فشقُّوا بطنَه، وحُمِل إلى بغداد على هيئته، وقدم به وبالأسارى، فقُتِّلوا وأُحرقوا.

وقيل: إنَّ الذي جرح زَكْرويه وصيف، ضَرَبه بالسيف فخالط دماغه، وتمزَّق أصحابُه في البريَّة، فماتوا عطشاً وجوعاً. [وقيل: إنَّ هذا العام يسمَّى عامَ الهرير؛ لأنَّ الوقعة كانت عنده].

وحجَّ بالنَّاس الفضلُ بن عبد الملك أيضاً.

وفيها توفي

محمد بن نَصْر

أبو عبد الله، المَرْوَزيُّ، الفقيه.

أحد الأئمة المشهورين، والمصنِّفين المذكورين [ذكره الأئمة وأثنوا عليه .

---

(١) في الطبري ١٠/ ١٣٤ ، والكامل ٧/ ٥٥١ ، والمنتظم ١٣/ ٥٠ : يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول، والمثبت موافق لما في تاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٨ .

قال الخطيب:][1] ولد ببغداد سنة اثنتين ومئتين، ونشأ بنَيْسابور، واستوطن سَمَرْقَند، وهو صاحب التَّصانيف الكثيرة، والكتب المشهورة، وسافر إلى الأمصار في طلب العلم [وسمع خلقاً كثيراً في خراسان والعراق والشام ومصر والحجاز]، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام، وكان إماماً، عالماً، حافظاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، كثيرَ الخشوع في صلاته، قليلَ الكلام فيما لا يعنيه.

[وقال الخطيب:] وهو مصنف كتاب «القسامة» وهو كتابٌ عزيزُ الوجود.

وقال عبد الله بن محمد الثَّقفيُّ: جالست محمدَ بن نصر أربعَ سنين فلم أسمعه في تلك المدَّة يتكلَّم في غير العلم.

وحكى الحاكم عنه أنَّه كان يتمنَّى الولدَ على كِبَر سنِّه، فجاءه رجل من أصحابه وعنده جماعة يذاكرهم العلم، فسارَّه في أُذنه بشيء، فرفع أبو عبد الله يديه وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ثمَّ مسح وجهه بباطن كفَّيه، ورجع إلى ما كان فيه، فرأينا أنَّه استعمل في تلك الكلمة الواحدة ثلاث سنن؛ سمَّى الولدَ، والثانية: حَمِد الله تعالى على الموهبة، والثالثة: أنَّه سمَّاه إسماعيل لأنَّه وُلِد على كِبَر، وقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال الحاكم: سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: ما رأيت[2] أحسنَ صلاةً من محمد بن نصر؛ كان الذُّباب يقع على أُذنه، فيَسيل الدَّم ولا يذبُّه عن نفسه، ولقد كنَّا نتعجب من حُسْن صلاتِه وخشوعه.

وقال [الخطيب بإسناده عن عثمان بن جعفر اللبَّان قال: حدَّثني] محمد بن نصر [قال:] خرجتُ من مصر ومعي جاريةٌ لي، فركبتُ البحر أريد مكَّة، فغرقتُ، وذهب منِّي ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة ومعي الجارية فما رأينا فيها أحداً، فأخذني العطشُ، فلم أقدر على الماء، فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلماً للموت، فإذا رجل قد جاءني ومعه كُوز ماء، فقال: هاه، فأخذتُه وشربتُ وسقيتُ الجارية، فما

(١) في تاريخه ٤/ ٥٠٨، وينظر المنتظم١٣/ ٥٤ ـ ٥٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٤٥ ـ ١٠٤٩.

(٢) في (خ): وقال الحافظ محمد بن يوسف: ما رأيت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في المنتظم ١٣/ ٥٥.

أدري من أين جاء ولا أين ذهب.

وقال محمد بن عبد الوهَّاب الثَّقفيُّ: كان إسماعيل بن أحمد والي خُراسان يَصِلُ محمدَ بن نصر في كلِّ سنة بأربعة آلاف درهم، ويصله أخوه إسحاقُ بن أحمد بأربعة آلاف درهم، ويصله أهلُ سمرقند بأربعة آلاف درهم، وكان يُنفقها من السَّنة إلى السَّنة من غير أن يكون له عيال، فقيل له: لعلَّ هؤلاء القومَ الذين يصلونك يَبدو لهم، فلو جمعتَ هذا لنائبة، فقال: يا سبحان الله، أنا بقيت بمصر كذا وكذا سنةً، فكان قُوتي وثيابي وكاغَدي وحِبْري وجميعُ ما أنفقه في السنة عشرين درهماً، أفَترى إن ذهب هذا لا يبقى ذاك؟!

و[حكى الخطيب بإسناده إلى محمد بن عبيد الله قال: سمعت] الأمير [أبا إبراهيم] إسماعيل بن أحمد يقول: كنت بسَمَرْقَنْد[1]، فجلستُ يوماً للمظالم، وجلس أخي إسحاق [إلى جنبي، إذ دخل أبو عبد الله المروزي، فقمتُ له إجلالاً لعِلمه، فلمَّا خرج عاتبني أخي إسحاق] وقال: أنت والي خراسان، يدخل عليك رجل من رعيَّتك فتقوم إليه، وهذا ذهاب السياسة؟ فبتُّ تلك الليلة، فرأيتُ النبيَّ ﷺ [في المنام] وأخي إسحاق واقف معي، إذ أخذ النبيُّ ﷺ بعَضُدي وقال: يا إسماعيل، ثبَّت الله مُلكَكَ ومُلْكَ بنيك بإجلالك محمدَ بن نصر، ثمَّ التفت إلى أخي إسحاق فقال: ذهب مُلكُك وملكُ بنيك باستخفافك بمحمد بن نصر.

وكان مُقيماً بنَيْسابور[2]، وكان مُفتيها وعابدَها، ثمَّ خرج إلى سَمَرْقَنْد، فتوفِّي بها في المحرَّم.

سمع هشامَ بن عمَّار وغيرَه، وروى عنه ابنُه إسماعيل وغيرُه، وكان ابنُه إسماعيل على طريقته، فقيل له: لو زَجَرْتَ ولدك؟ فقال: لا أُفسد مروءتي بصلاحه.

واتَّفقوا على دينه [وأمانته] وثقته وصدقه[3].

---

(١) في (ف) و (م١): وحكى الخطيب بإسناده أيضاً إلى محمد بن عبد الله قال: سمعت الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد يقول: كنت والي خراسان... ، والمثبت من (خ)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٤/ ٥١٠ .

(٢) في (ف م١): استوطن محمد بن نصر نيسابور.

(٣) بعدها في (ف م١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.